قال : فتجدُك تحكم بأمر واحد من وجوه مختلفة ؟ .

قلت : نعم إذا اختلفت أسبابه .

قال : فاذكر منه شيئاً .

قلت : قد يُقِرّ الرجل عندي على نفسه بالحق  أو لبعض الآدميين فآخذه بإقراره ولا يقر فآخذه بِيَنّةٍ تقوم عليه ولا تقوم عليه بينة فَيُدّعى عليه فآمره بأن يحلف ويَبرْأَ فيَمتنعُ فآمر خصمَه بأن يحلف ونأخذُه بما حلف عليه خصمه إذا أبى اليمين التي تُبرِئه ونحن نعلم أن إقراره على نفسه - بِشُحّهِ على [ ص 484 ] ماله وأنه يُخاف ظَلمُه بالشحّ ِ عليه - : أصدَقُ عليه من شهادة غيره لأن غيره قد يَغلِط ويكذب عليه وشهادةُ العدول عليه أقربُ من الصدق من امتناعه من اليمين ويمينِ خصمه وهو غيرُ عدل وأُعطي منه بأسبابٍ بعضُها أقوى من بعض .

قال : هذا كله هكذا غيرَ أنا إذا نَكِل عن اليمين أعطينا منه بالنكول .

قلت : فقد أعطيتَ منه بأضعفَ مما أعطينا منه ؟ .

قال : أجل ولكني أخالفك في الأصل .

قلت : وأقوى ما أعطيتَ به منه إقرارُه وقد يمكن أن يُقِر بحق مسلم ناسياً أو غلطاً فآخذُه به ؟ .

قال : أجل ولكنك لم تُكَلف إلا هذا .

[ ص 485 ] قلنا : فلستَ تراني كُلّفت الحقّ َ من وجهين : أحدهما : حقٌّ بإحاطةٍ في الظاهر والباطن والآخر : حق بالظاهر دون الباطن ؟ .

قال : بلى ولكن هل تجد في هذا قوةً بكتاب أو سنة ؟ .

قلت : نعم ما وصفتُ لك مما كُلفت في القبلة وفي نفسي وفي غيري .

قال ا : { ولا يحيطونَ بشيء من علمِهِ إلا بما شاءَ } [ البقرة 255 ] فآتاهم من علمه ما شاء وكما شاء لا مُعَقّبَ لحُكمه وهو سريعُ الحساب .

وقال لنبيه : { يسئلونك عن الساعة أَيّانَ مُرْساها فيمَ أنتَ من ذِكراها إلى ربك مُنْتَهَاها } [ النازعات 42 - 44 ] .

سفيانُ عن الزّهري عن عُروة قال : " لم يَزَل رسول ا يَسأل عن الساعة حتى أنزل ا عليه { فيم أنت من ذكراها } فانتهى " .

[ ص 486 ] وقال ا : { قل لا يعلمُ من في السماوات والأرضِ الغيبَ إلا اُ } [ النمل 65

] .

وقال ا تبارك وتعالى : { إن ا عنده عِلمُ الساعةِ ويُنزّ ِلُ الغيث ويَعلمُ ما في الأرحامِ وما تَدري نفسٌ ماذا تَكْسِبُ غداً وما تدري نفس بأيّ ِ أرض تموت إن ا عليمٌ خبير } [ لقمان 34 ] .

فالناس مُتَعَبّ َدون بأن يقولوا ويفعلوا ما أُمروا به وينتهوا إليه لا يُجاوزونَه لأنهم لم يُعطوا أنفسَهم شيئاً إنما هو عطاء ا . فنسأل ا عطاءاً مؤدّ ِياً لحقه موجِباً لمزيده